

خطبة تدبر آية الأخلاق

الحمد لله الذي أنزل القرآن المبين، على رسوله محمدٍ خاتم النبیین، هدىً وتذكرةً للمتقين، ورحمةً وموعظةً للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فقد أمرنا الله سبحانه بتدبر آيات كتابه الحكيم لتتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، وتندبر في هذه الخطبة آية الأخلاق، وهي قوله سبحانه: ﴿حُذِرَ الْعَفْوَ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

يقول الله تعالى أمرًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وجميع أمته: اقبل ما تيسر من أخلاق الناس، وما سمحت به نفوسهم، ولا تستقص عليهم فتطالبهم بما يشق عليهم، ويبتسر عليهم، ولا تغلظ عليهم، وأمر نفسك وجميع الناس بكل معروف، وعلم الناس ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وأعرض عن الجاهلين جهل علم أو جهل طيش وسفه، ولا تؤاخذهم بزلاتهم، ولا تشغل نفسك بمجادلتهم ومجازاتهم.

أيها المسلمون، هذه الآية الكريمة تضمنت قواعد الشريعة في تكليف العباد، وفي معاملة الناس في جميع الحالات، وهي مثالٌ ظاهرٌ على بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، ففي هذه الآية هدايات قرآنية كثيرة، منها ما يلي:

- اهتمام الإسلام بالأداب الاجتماعية التي يحتاجها الإنسان في معاملة الناس.
- في الآية رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن الحياة، فالآية تبين كيف يتعامل المسلم مع الناس بمختلف طبائعهم وأحوالهم وأخلاقهم.

- وصية الله لرسوله وأمته بالأخذ بالعفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، فعلىنا أن نتواصى بهذه الوصايا العظيمة، فكثير من الشرور والفتن التي تصيب الناس سببها الإخلال بهذه الوصايا أو ببعضها.
- في الأمر بأخذ العفو مشروعية الإغضاء عن الضعف البشري، وهذا واجب الأقوياء تجاه الضعفاء، فعلى الرجال أن يرحموا النساء، وعلى الكبار أن يرحموا الصغار، وعلى الأغنياء أن يرحموا الفقراء، وعلى الأصحاء أن يرحموا المرضى، فمن الحكمة معاملة الناس باللطف والرحمة، بما يشرح صدورهم، ويجبر خواطرهم.
- الأمر بأخذ ما تيسر من أخلاق الناس، وعدم التحسس من أخلاقهم السيئة، وطبائِعهم المختلفة، وعدم تكليفهم ما يعسر عليهم من الأخلاق والأموال وغير ذلك، وعدم مطالبتهم بزيادة في أداء الحقوق الواجبة، ومن الحكمة قبول ما طابت أنفس الناس بأدائه من الحقوق التي عليهم، مما يخف عليهم أداءه، وإن كان أقل مما يجب عليهم، ومن الشهامة التغاضي عن الحق كرمًا، وترك الاستقصاء في طلب الحق، فيسقط الكريم ما يمكن إسقاطه من حقوقه من غير ظلم أحد من الناس.
- التخفيف عن الناس بدفع الحرج والمشقة عنهم بما لا يخالف الشريعة السمحة، فالشريعة جاءت بالتيسير لا بالتعسير، وما جعل الله علينا في الدين من حرج، فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، ولا مكروه مع الحاجة.
- من الأخذ بالعفو التيسير على النفس، وعدم تحميلها ما لا تطيق.
- الحث على عدم التكلف، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ترك التكلف في جميع أمورهم، في علمهم وعبادتهم ودعوتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وجميع شؤون حياتهم.
- من الأخذ بالعفو ترك التنطع بالسؤال والبحث عما سكتت عنه الشريعة، والواجب ترك تكليف الناس بما لم يكلفهم الله ورسوله.

- من الأخذ بالعفو ترك التنطع بالبحث عما لا ينبغي البحث فيه من أحوال الناس المستورين، وترك التفتيش عن حقائق بواطن الناس.
- الرفق في التعامل مع الناس، والتيسير وترك التعسير، والتبشير وترك التنفير.
- شكر الناس على ما أحسنوا فيه من قول أو فعل ولو كان قولهم وفعلهم دون ما كان ينبغي، والتجاوز عن تقصيرهم ونقصهم، فليس كل الناس مأمور بالكمال، وليس كل أهل الجنة من السابقين المقربين، بل أكثر أهل الجنة من الأبرار أصحاب اليمين، ومن يتجاوز الله عن سيئاتهم بفضله ورحمته.
- مشروعية التوسط في الأمور، وترك الإفراط والتفريط، فالتوسط من العفو المأمور بأخذه.
- الأخذ في هذه الآية معنوي لا حسي، والأخذ يدل على الحركة والمبادرة، فالحركة بركة، والمبادرة عنوان النجاح.
- التأكيد على العفو بتشبيهه بأمر محسوس يُؤمر المسلم بأخذه والحرص عليه، وعدم تركه، فالخير والمصلحة في العفو، وإن كان الظاهر أنّ في العفو نقصاً فهو في الحقيقة زيادة لمن أخذ به، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا)).
- العفو عن ذوي الأرحام القاطعين لأرحامهم، وصلتهم وإن كانوا ظالمين، والعفو عن الزوجة الناشزة، وإن كانت ظالمة لزوجها بنشوزها.
- العفو من الأخلاق التي يحبها الله، فهو عفوٌ يحب العفو، ومن عفا الله عنه، وكلما كان الذنب أكبر كان العفو عنه أكمل.
- من الأخذ بالعفو قبول اعتذار المسيئين، وعدم قطع الصلحة والمودة بسبب الخصومة الدنيوية، وسرعة الرجوع إلى إصلاح ذات البين عند حصول الخلاف.

- من عزَّ أخوه وصاحبه فليهنُّ له، وليتواضع بالصبر عن إساءته، وليتابعه فيما يُمكن متابعته مما لا يخالف الشريعة، ولا ضرر فيه، فإذا عاسَرَكَ أخوك وصاحبك فياسره، ولا تشاححه فتقع الشرور، وكذلك الحال بين الزوجين.
- الحث على أخذ العفو مما يسره الله للعبد من رزق، والرضا والقناعة، وترك الطمع والحسد.
- ترك التشفي بالانتقام من الظالم، فمصلحة العفو عن الظالم أعظم من لذة الانتقام.
- عمل النبي عليه الصلاة والسلام بما أمره الله به في كتابه من العفو، فكان حُلُقُه القرآن، ومن ذلك عفوهِ عن المشركين بعد فتح مكة.
- مشروعية العفو إذا كان سبباً لتسكين الفتنة، ورجوع الجاني عن جنائته، أما إذا صار العفو سبباً لمزيد جرأة الجاني، فلا ينبغي العفو عنه، يؤخذ هذا من الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [الشورى: ٣٩-٤١].
- ترك التشدد فيما يتعلق بالحقوق المالية، وعدم التعنت في الخصومات، وعدم تعقيد الأمور، وإلا وقعت الشرور.
- في ذكر الأمر بالعرف بعد الأمر بأخذ العفو إشارة إلى وجوب الأمر بالمعروف، وحمل الناس على أداء الحقوق وإن لم يسمح بعض الناس بما يجب عليهم.
- الحث على المسامحة في كل ما يمكن التساهل فيه من الحقوق، وما لا يمكن التساهل فيه يجب أمر الناس فيه بالمعروف.
- وجوب الأمر بالمعروف، ويفهم منه وجوب النهي عن المنكر، فالأمر بالشيء يشمل النهي عن ضده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وفرض على جميع المسلمين مثني وفرادى بشرط القدرة عليه.

- حث الناس على كل معروف من الواجبات والمستحبات، وكل ما يعرف العقلاء صوابه، وتستحسنه النفوس، مما لا يخالف الشريعة، ونهيهم عن كل المنكرات ما ظهر منها وما بطن.
- الشعور بالمسئولية تجاه المسلمين، والعمل للدين.
- فضل العلم؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتقدمه العلم.
- أهمية البلاغة لتبيين الحق بالكلام أو الكتابة، فهما وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- أعظم العرف الذي يجب الأمر به: توحيد الله وعبادته وحده، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومن العرف الذي يجب الأمر به: اتباع السنة، وجمع الكلمة على الحق، واجتناب البدع والتفرق، وإعطاء الناس حقوقهم، وترك ظلمهم، وشكر الله على نعمه، والتواصي بالصبر والرحمة، وتقوى الله سبحانه، والتحلي بالأخلاق الحسنة.
- حث كل قريب وبعيد على فعل الخير وترك الشر، ومن ذلك تعليم الناس الخير الديني والدنيوي.
- وجوب أمر النفس بالمعروف، ونهيهما عن المنكر، فهي مقدّمة على غيرها، فيدخل في الأمر بالعرف أن يأمر الإنسان نفسه بالمعروف، وينهاها عن المنكر، ومن ذلك أن يعطي الناس حقوقهم، ويُصِفهم من نفسه وإن لم يطالبوه بها.
- الحث على صنع المعروف حتى مع الكفار والعصاة والمسيئين، وهذا مما يسهل عليهم قبول الحق، فينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بصنائع المعروف، من إطعام المساكين، وإعانة المحتاجين، وتنفيذ الكرب عن المكروبين، ونصر المظلومين.
- على الداعي إلى الله أن يأمر الناس بما يعلم أنه من المعروف، وأن يحذر أن يأمرهم بما لا يُعرف في الشرع وجوبه أو استحبابه أو إباحته، ولا يأمرهم بما فيه غرر ومخاطرة.

- يؤخذ من كلمة العرف أنه معتبر شرعاً، والعرف المأمور به هو العرف الصحيح الذي لا يخالف الشرع، أما العرف الفاسد فلا عبرة به.
 - إظهار أهل العلم الحكم الشرعي فيما يعرفون وينكرون مما لا يخالف الشرع، والاستقامة على الشريعة، وعدم تميعها إرضاء للكفار أو اتباعاً لأهواء العوام والأمراء.
 - عدم مشروعية الاقتصار على الأخذ بالعفو مع ترك الأمر بالمعروف؛ لأن في ذلك تغييراً للدين، وإبطاً للحق، فلا بد من بيان الحق مع الأخذ بالعفو.
- بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وليّ الصالحين، والصلاة والسلام على محمدٍ سيد الأولين والآخرين، والسلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩)
[الأعراف: ١٩٩]، ومن الهدايات التي نستفيدها من هذه الآية:

- في الجمع بين الأمر بالعرف والأمر بالإعراض عن الجاهلين دلالة على عدم التنازل عن الثوابت الدينية، وعدم ترك النصيحة لأجل إرضاء الجاهلين، وعدم اعتبار عُرف الجاهل المخالف للشريعة.
- الإعراض عن الجاهلين من المشركين لا ينافي الأمر بجهادهم، فيجب الصبر على سوء أخلاقهم، وألا يقابل أقوالهم وأفعالهم السيئة بمثلهما، مع وجوب قتالهم عند القدرة، جمعاً بين الأدلة الشرعية.
- مشروعية الإعراض عن الجاهلين من الكافرين والمنافقين والفاسقين، وعدم الانشغال بهم، وترك السؤال عن حالهم، وعدم التكلف في طلب عقوبتهم، وعدم التحسر عليهم، وعدم الحزن على هلاكهم، والإعراض عن السفهاء والغافلين عن طاعة الله استهانة بهم، وترك متابعتهم في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، والإعراض عن الظالمين، وعدم الركون إليهم.
- الإعراض عن المتعصبين لآرائهم الخاطئة، المصيرين على الباطل جهالة منهم وظلمًا؛ لأن الرد عليهم لا ينفعهم، والإعراض عنهم قد يذلل نفوسهم، والإعراض عنهم يكون بعد أمرهم بالمعروف، فقد أمر الله بالإعراض عن الجاهلين بعد الأمر بالعرف، وليس المراد الإعراض عنهم جملة وتفصيلاً، فإن التصدي لبيان أخطائهم من الأمر بالمعروف.

- أعظم سببٍ للسلامة من شر الجاهلين هو الإعراض عنهم، والسكوت عن جوابهم، سواء كان جهلهم جهل علم أو جهل طيشٍ وسفه.
- الحرص على تقليل العداوات؛ لتكامل للإنسان منافع دينه ودنياه.
- صيانة النفس والوقت عن منازعة السفهاء، وممارة الجهال، وعن مقابلة الجاهلين بجهلهم، والحرص على اغتنام الأوقات فيما ينفع في الدين والدنيا.
- ذم الجهل، والحرص على طلب العلم، ومدح العلم والعلماء، ويفهم من الأمر بالإعراض عن الجاهلين أنّ على المسلم أن يُقْبِلَ على أهل العلم، وأن يحرص على مجالستهم ومصاحبتهم وسؤالهم، والاستفادة من علمهم.
- من آداب العالم إذا سئل عن شيء لا ينبغي السؤال عنه أو ليس الجواب عنه مناسبًا في ذلك الوقت أن يسكت عن الجواب، ويعرض عن السائل الجاهل.
- من الحكمة في التعامل مع الناس الجمع بين الأخذ بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين، ومعاملة كل إنسان بما يناسبه.
- حث الإسلام على محاسن الأخلاق، ومعاملة الناس بالتي هي أحسن، وذلك بأخذ العفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهين، فعلى المسلم أن يجعل هذه الآية منهجه في معاملة الناس.

أيها المسلمون، القرآن العظيم هداية للأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، وفيه كل ما يصلح الأمة في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها، وفيه حل جميع مشاكلها الداخلية والخارجية، وهو السبيل لعز المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وارزقنا تلاوة كتابك وتدبره، والعمل بكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، اللهم اغفر لنا أجمعين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، وسلامًا على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.